LSE Middle East Centre

التآزر من أجل البقاء

بُنى الرعاية في فلسطين خلال جائحة كوفيد-19

أنمار رفيدي، حنين نعامنة، سوزي هول، أباهر السقا

مركز الشرق الأوسط | أيلول/سبتمبر 2024

عن مركز الشرق الأوسط

يعتمد مركز الشرق الأوسط على علاقة كلية لندن للاقتصاد و العلوم السياسية الطويلة مع المنطقة، ويوفر محوراً مركزياً لمجموعة واسعة من البحوث حول الشرق الأوسط.

يهدف المركز إلى تعزيز التفاهم وتطوير البحوث الدقيقة حول المجتمعات والاقتصادات و الأنظمة السياسية والعلاقات الدولية في المنطقة. ويشجع المركز كلا من المعرفة المتخصصة والفهم العام لهذا المجال الحيوي. للمركز قوة بارزة في البحوث المتعددة التخصصات والخبرات الإقليمية. باعتبارها من رواد العلوم الاجتماعية في العالم. تضم كلية لندن للاقتصاد أقسام تغطي جميع فروع العلوم الاجتماعية. يستخدم المركز هذه الخبرة لتعزيز البحوث المبتكرة والتدريب على المنطقة.

مسؤولة التحرير
نسرين الرفاعي

تصميم
جاك مغين

صورة الغلاف
طفلات فلسطينيات يسرن بجانب جدارية في خان يونس، جنوب قطاع غزة.

© زوما بريس / وكالة ألمي للصور

LSE Middle East Centre

التآزر من أجل البقاء: بُنى الرعاية في فلسطين خلال جائحة كوفيد-19

أنمار رفيدي، حنين نعامنة، سوزي هول، أباهر السقا

مركز الشرق الأوسط

تشرين الثاني/نوفمبر 2024

تم نشر هذا التقرير باللغة الإنجليزية في آذار/مارس 2024

نبذة عن المؤلفون

أنمار رفيدي، باحثة مساعدة في جامعة بيرزيت، حاصلة على درجة البكالوريوس في علم الاجتماع من جامعة بيرزيت، ودرجة الماجستير في علم الاجتماع من جامعة أكسفورد. تشمل اهتماماتها البحثية الحركات الاجتماعيّة وحركات الشباب، والقضايا التنموية في المجتمع الفلسطيني، والثقافة والفنون.

حنين نعامنة، باحثة في مركز الشرق الأوسط، وتشارك في بحث مشروع «الحياة الحضرية في زمن الجائحة: دراسة حول البنى التحتية للرعاية الصحية في فلسطين إبان جائحة كورونا»، بتمويل من برنامج التعاون الأكاديمي مع الجامعات العربية، وبالتعاون مع جامعة بيرزيت. حاصلة على درجة الدكتوراة في علم الاجتماع من كلية لندن للاقتصاد و العلوم السياسية، ودرجة الماجستير في القانون من كلية الدراسات الشرقية والأفريقية، ودرجة البكالوريوس في الحقوق من جامعة حيفا.

سوزي هول، أستاذة علم اجتماع في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسيّة. تُركّز أبحاثها وتدريسها على التقاطعات ما بين الهجرة العالميّة والتهميش الحضري. تُركّز سوزي على مُطالبات الناس اليوميّة بحيّز لهم، والكيفية التي تُشكّل فيها السياساتُ الاقتصاديّة الخاصة بالنزوح الحدودَ الفاصلة العنصرية، ومعيشة المُهجّرين، والتعدّد الثقافي الحضري.

أباهر السقا، عالم اجتماع وأستاذ في جامعة بيرزيت في قسم العلوم الاجتماعية والسلوكية. وهو أيضًا أستاذ زائر في العديد من الجامعات في فرنسا وبلجيكا. تتركز اهتماماته البحثيّة الحاليّة على التاريخ الاجتماعي وتأريخ العلوم الاجتماعية.

الموجز

تبحث هذه الورقة في الكيفية التي تطورت عبرها البُنى التحتيّة المجتمعيّة اليومية للرعاية، وممارسات التكيّف في الأزمات في الحياة الحضرية في فلسطين، خلال العام الأول من جائحة كوفيد-19 (آذار-كانون الأول 2020). ويسلّط البحث الضوء على الممارسات اليومية الناجمة عن المبادرات الاجتماعية وغير الرسميّة في فلسطين خلال جائحة كوفيد-19 في رام الله. من خلال تتبع ممارسات الرعاية في سياق الفضاء الحضري خلال كوفيد-19، درسنا كيفية تفاعل البنية الحضريّة والشبكات الاجتماعية للسكان والبنى التحتية للرعاية السابقة مع بعضها البعض بهدف إنتاج ممارسات رعاية تضمن استمرارية المجتمعات خلال أوقات الأزمات.

باستخدام المقابلات، ومسح لمُبادرات الرعاية، والتحليل الاجتماعي والاقتصادي للأحياز الحضرية، بما في ذلك الأسواق والأحياء السكنية، يتناول هذا البحث الممارسات اليومية للرعاية أثناء الجائحة، وعواملها المتنوعة داخل الفضاء الحضري. لقد كشف تحليل البيانات عن طرق مختلفة عبّر بها السكان عن رعايتهم للآخرين، بما في ذلك تفقّد أحوالهم، وتوفير الخدمات لهم، وتزويدهم بالمعلومات، ودعمهم خلال العزل الصحي، ومواساتهم. إن مُمارسات الرعاية اليوميّة خلال الجائحة، هي امتداد لإرث فلسطيني في مجال الرعاية يتم من خلال العلاقات الشخصيّة، ويستند إلى القيم المُجتمعية، ويظل ذو أهمية لصمود المُجتمعات في أوقات الأزمات.

لم يكن لهذا البحث أن يُنجز دون مساهمة طلبة الماجستير بجامعة بيرزيت وعملهم الدؤوب في إنجاح العمل الميداني. نتقدم بالشكر لنور الأعرج، وهالة دعدوع، وسجى دراغمة، وشهد هيثم، ومادلين حلبي، ودعاء عيسى، وفيروز سلامة، ومازن شنطي، وتوبة قاسم، على عملهم ونقاشاتهم على مدى المشروع. والشكر موصول بشكل خاص لشهد على دعمها في انتاج خرائط البحث. ونتقدم بالشكر أيضاً للباحثين ليزا تراكي، ومجدي المالكي، وأحمد عز، على مساهمتهم بالوقت والأفكار في المقابلات والنقاش. تم تمويل هذا البحث من خلال برنامج التعاون الأكاديمي مع الجامعات العربية، الذي يديره مركز الشرق الأوسط التابع لكلية لندن للاقتصاد و العلوم السياسية، الممول من مؤسسة الإمارات؛ ومع ذلك، فإن الآراء الواردة في هذا البحث لا تعكس بالضرورة آراء المؤسسة. وساهمت جامعة بيرزيت في البحث بوصفها المؤسسة الشريكة.

سياق البحث وأسئلته

سجّلت فلسطين أولى حالات الإصابة المؤكدة بفيروس كوفيد-19 في الخامس من مارس/آذار من العام 2020. وعلى غرار بقية دول العالم، اضطرت هي الأخرى فرض الإغلاق في جميع أنحاء البلد، وبذلك، أُغلقت المدارس، وأوقفت الأعمال التجارية، والمؤسّسات الحكومية، ومؤسسّات المجتمع المدني أنشطتها. وعاشت المجتمعات في حينها حالة يمكن وصفها بعدم اليقين، والخوف، وقلة المواد الأساسيّة.

منذ بداية جائحة كوفيد-19 في مارس/آذار 2020، اعتمد الفلسطينيون عدة ممارسات ومبادرات مجتمعيّة مختلفة للرعاية في جميع المدن والقرى ومخيّمات اللاجئين. تضمنت هذه الممارسات والمبادرات المجتمعية إعادة تشكيل الفضاءات الحضريّة، والحياة العامّة فيها، من بينها تكييف الملاعب والساحات العامة لاستعمالها كأحياز للصلاة، تجنباً للمساحات المغلقة كالكنائس والمساجد، وتغيير شوارع الأحياء لجعلها أكثر «مراعاة للبيئة الوقائية».

تضمنت المبادرات المجتمعيّة طيلة فترة الوباء إنشاء لجان طوارئ محليّة لدعم الأحياء عبر تنفيذ تدابير وقائيّة، وتسهيل عمليات تسديد اشتراكات الكهرباء والمياه لمن لم يكونوا قادرين على مغادرة منازلهم، فضلاً عن توزيع الطعام على الأسر الفقيرة، والأشخاص الخاضعين للحجر الصحي. أفاد السكان بأن الجائحة سلطت الضوء على التحديات القائمة أصلاً في المجتمع الفلسطينيّ، والمتمثلة في العيش في حالة دائمة من الطوارئ تحت العنف الاستعماري، فضلاً عن ممارسات الرعاية غير البادية للعيان وآليات الصمود والتحدي اليوميّة.

تم إنجاز هذا البحث ضمن المشروع المشترك «الحياة الحضرية في زمن الجائحة: دراسة حول البنى التحتية للرعاية الصحية في فلسطين إبان جائحة كورونا،» ويُعنى بشكل أساسي بممارسات الرعاية وأساليب التنظيم اليومية التي تُمارس خارج إطار (شبه) الدولة في فلسطين. يحاول هذا البحث فهم آلية عمل البنى التحتية المجتمعيّة غير الرسمية، وممارسات التكيّف في الحياة الحضريّة في فلسطين خلال العام الأول من الجائحة منذ مارس/آذار وحتى ديسمبر/كانون الأول 2020، بالتحديد في مدينة رام الله والمناطق المجاورة لها.[1]

بناءً على أشكال الرعاية المجتمعية غير الرسمية الحاليّة والتاريخيّة التي نشأت في فلسطين، يتقصى البحث مفهوم الرعاية عبر تحليل مفاهيم التكافل والتداول والمعاملة بالمثل والتضامن والتشارك والتآزر والتعاضد والترابط. ومن خلال تحليل الممارسات الحياتية اليومية التي اتخذت أشكالاً من التحدي والتضامن خلال الجائحة، يفحص البحث من يتولى تقديم الرعاية ومن يتلقاها في المجتمع الفلسطيني. ومن أجل فهم العلاقة ما بين الرعاية والبنى التحتية، يتناول البحث كيفية تقديم الرعاية وكيفية اشتغال شبكاتها وبناها داخل الأحياز الحضريّة، وما إذا كانت ممارسات الرعاية تدعم صمود الأحياء ومناطق اقتصاديّات الشوارع اليومية، وكيف يتم ذلك.

إن الإجابة عن هذه التساؤلات لا تأتي منفصلة عن وعينا بأن السياق الأوسع للسيادة وممارسات الاستعمار الاستيطاني والتي تشمل الكيفيّة التي تقوم بها القوى الإقصائية بتصنيف المواطنين وتوزيع الموارد أو تحديدها، يصوغ ملامح مشهد

[1] 'Urbanity in the Time of Pandemic: A Study of Infrastructures of Care in Palestine during the Covid-19 Crisis', *LSE Academic Collaboration with Arab Universities Programme*, 2023. Available at: https://www.lse.ac.uk/middleeastcentre/research/collaboration-programme/2021-22/haneen-naamneh (accessed 12 October 2023).

الرعاية.[2] فالعلاقة ما بين الدولة والأفراد، وسياسة توزيع الموارد وحظرها، والتداخل ما بين أنماط استغلال العمالة القائمة والناشئة، والاعتبارات الجغرافية المعقدة للممتلكات والحياة العامة، تصوغ جميعها طبيعة الرعاية.

بالتركيز على مدينة رام الله، بوصفها مركزاً حضرياً أساسياً في الضفة الغربية، يبحث التقرير في العلاقة ما بين الرعاية والحيّز الحضري. تختلف رام الله عن غيرها من المراكز الحضرية كالخليل ونابلس، حيث يتميز تركيبها الديموغرافي بنسبة مرتفعة من المهاجرين من مناطق حضرية وريفية أخرى في فلسطين نتيجة لهجرة العمالة بشكل أساسي.[3] ذلك إضافة إلى تأثر قدرات الرعاية بشكل متفاوت في كلٍ من هذه المراكز الحضريّة خلال الجائحة، نتيجة لتعدد السلطات السياسيّة والقانونيّة، سواء من خلال الاحتلال الإسرائيلي أو السلطة الفلسطينية. انعكس تعدد السلطات في التباين في تطبيق الإجراءات الاحترازيّة من قبل السلطة الفلسطينيّة في المدن، وفي امتثال السكان لها أو رفضها خلال الجائحة. وبالتالي، هنا تكمن أهمية وضع الرعاية في سياق المشهد الجغرافي والحكومي المتمايز والدقيق.

منهجية البحث

يهدف الإطار المنهجي للمشروع إلى استقصاء كيف تشكّل الحياة العامة أنواعاً مختلفة من الأحياز المشتركة باعتبارها مساحات معيشية يوميّة تتلاقى وتنشأ فيها أنشطة الحياة اليومية والثقافة الجماعيّة.[4] أجرى العمل الميداني 10 طلاب من أقسام الدراسات العليا في جامعة بيرزيت من تخصصات علم الاجتماع، والهندسة المعماريّة، والدراسات الإسرائيليّة، وعلم النفس المجتمعيّ، وذلك خلال الفترة ما بين يوليو/تموز وسبتمبر/أيلول من العام 2022، وذلك لرصد ممارسات الرعاية اليوميّة التي كانت منتشرة في رام الله والبيرة خلال الجائحة.[5] شملت عينة البحث المواقع التالية: (1) أحياء سكنية في المصايف، والطيرة، والبلدة القديمة في البيرة و (2) الأسواق والشوارع في رام الله.

[2] Omar Jabry Salamanca, Mezna Qato, Kareem Rabie & Sobhi Samour, 'Past is Present: Settler Colonialism in Palestine,' *Settler Colonial Studies* 2 (2012), pp. 1–8; Lorenzo Veracini, 'Introducing Settler Colonial Studies,' *Settler Colonial Studies* 1 (2011): pp. 1–12; Patrick Wolfe, 'Settler Colonialism and the Elimination of the Native,' *Journal of Genocide Research* 4 (2006), pp. 287–409.

[3] ليزا تراكي، مقابلة شخصيّة، 29 أغسطس/آب 2022.

[4] Suzanne Hall, *City, Street and Citizen: The Measure of the Ordinary* (Abingdon, UK: Routledge, 2012).

[5] الطلاب المشاركون في المشروع: نور أعرج، وهالة دعدوع، وسجى دراغمة، وشهد هيثم، ومادلين حلبي، وفيروز سلامة، ومازن الشنطي، وريم سليمان، وتوبة قاسم.

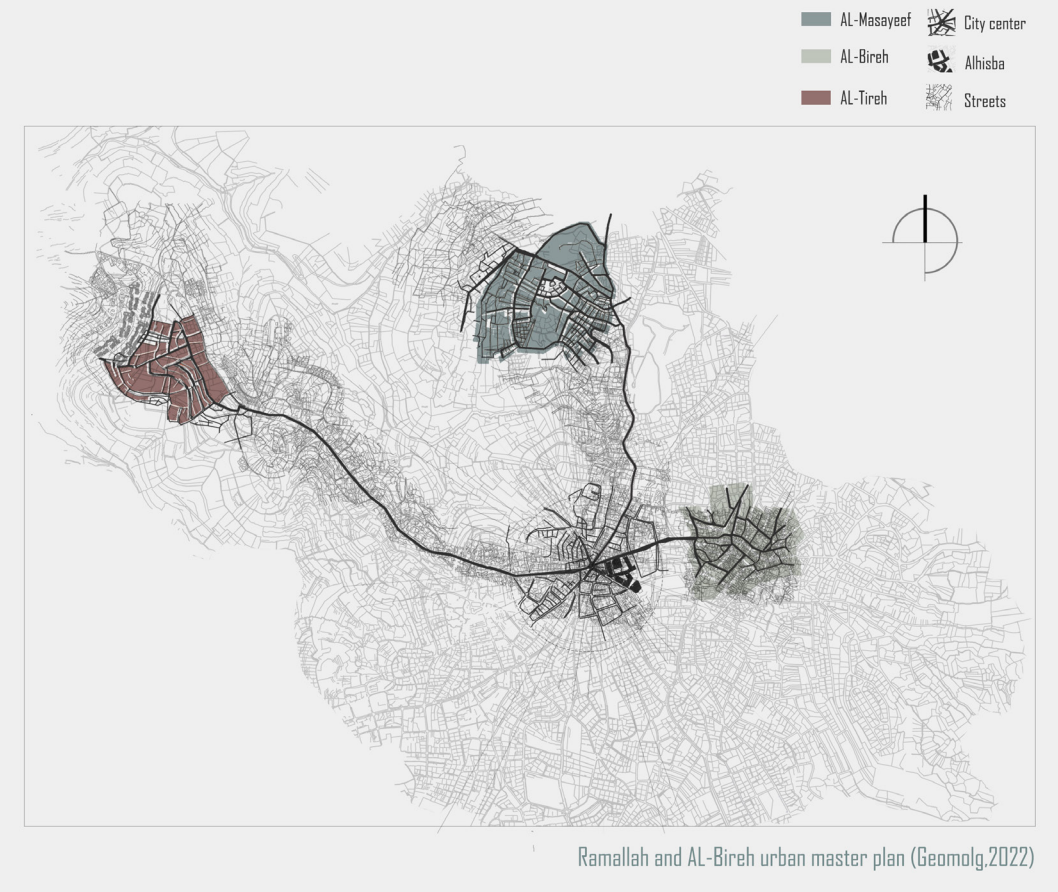

مركز مدينة رام الله (في وسط الخارطة) وشبكات ربطها مع الأحياء الثلاث: الطيرة، والمصايف، والبيرة (في يسار الخارطة) (جيومولج 2022)

أجرى الطلاب خمس وعشرون مقابلة مع سُكان الأحياء الثلاث، وقد تم اختيار كل موقع من مواقع المقابلات بناء على عملية بدأت بزيارة للأحياء والتفاعل مع الشبكات الاجتماعية للسُكان الحاليين أو السابقين. واعتمد الطلاب على رصد نشاطات اقتصاديّة في أماكن مختلفة: مقهى في البيرة، ورحلة في سيارة أجرة في الطيرة، والسوق الشعبي في رام الله، كمنطلق لإجراء المقابلات، ومن ثم استخدم الطلاب نهجَ رفع وتيرة المشاركة لتحديد المشاركين في الاستقصاء. بالنسبة للمصايف، وفي مرحلة لاحقة في الطيرة، شكلت الشبكات الاجتماعية مدخلاً مهماً للنفاذ للأحياء، والتي تبيَّن أن الوصول إليها شكّل تحدياً أكبر مقارنة مع المناطق الأخرى.

شكّل التقطع المتكرر للمُقابلة أثناء إجرائها إحدى التحديات الإضافية في الأحياء. فبما أن المقابلات عُقدت في أماكن عامة، فكانت تُعيقها الأصوات المرتفعة، أو النشاطات الاقتصادية في المكان العام (كدخول المتسوقين وخروجهم من المحلات التجاريّة)، ما جعل مدة المقابلات أطول مما تم التخطيط له، مع أن ذلك لم يمنع الحصول على معلومات غنيّة

تمكن الطلاب، باعتبارهم عاشوا تجربة الجائحة بأنفسهم، من ملاحظة التجارب الموصوفة في بعض الحالات المشمولة بالدراسة وفهمها بسهولة. كما قاموا بمسح للمبادرات المحلية، وأجروا مقابلات مع النشطاء العاملين في إطارها وكذلك مع متلقي الرعاية في كل منها. مع ذلك، فحساسيّة قضية الحصول على المساعدة شكلت تحدياً لهذه الجزئية من العمل الميداني، والتي حدّت من عدد المقابلات مع متلقي الرعاية. وللتغلب على محدوديّة المراجع الحديثة التي تُحلل وتُناقش جائحة كوفيد-19، والرعاية الاجتماعية في السياق الفلسطيني، اتسعت المقابلات لتشمل ثلاثة باحثين مهتمين بمجال الرعاية في فلسطين في الماضي والحاضر. و بالمجمل، تم إجراء ثمانٍ وعشرين مقابلة في إطار هذا البحث.

إرث الرعاية في فلسطين

لطالما كانت الرعاية جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الفلسطيني،[6] وتُمارس تحت عدة أشكال وظروف، وتشمل التضامن والأعمال الخيريّة والمسؤوليّة والصمود والتكيّف والدعم والمقاومة والبقاء. إن العيش في حالة مستمرة ومشتركة من الصعاب، تخلق في الغالب أشكالاً جديدةً من التضامن من خلال التكيُف وخلق استراتيجيات جماعيّة ما بين مَن يعيشون في ظل الصراع والعنف، بما في ذلك الاستعمار.[7]

بما أن الفلسطينيين مازالوا يعيشون منذ عقود في سياق يعتبرونه حالة دائمة من الطوارئ، والأزمة، والصراع، فقد طوروا آليات للنجاة في الحياة اليومية[8] – سُبل «تدبّر الأمور» في ظل سيطرة الاحتلال،[9] وما يفرضه من تمايز وفصل اجتماعي واقتصادي وجغرافي للفلسطينيين عن بعضهم البعض[10] – أثناء سعيهم لعيش حياة «اعتياديّة» على الرغم من العنف المتفشي.[11] يُبيّن الباحث أحمد أسعد في دراسة له حول بلدة بيت ساحور في العام 1988 خلال الانتفاضة الأولى، السبل التي تآزر بها الفلسطينيون لتطوير أدوات لمواجهة وتجاوز الإغلاق الذي فرضه الاحتلال، ولإدارة الحياة اليوميّة بشكل جماعي.[12] تم توظيف التضامن والتماسك لدعم العصيان المدني والصمود لتحقيق ذلك؛[13] وقد اتخذ أهل بيت ساحور إجراءات وممارسات متجذرة لتحويل البلدة لمجتمع مكتفٍ ذاتياً نسبيّاً، ومعارض للاحتلال الإسرائيلي، حيث تضمنت هذه الممارسات تقاسم الأغذية، وتشكيل لجان الأحياء، ولا سيما تأسيس تعاونيّة للمواشي والدواجن، والمزارع.[14]

بالمقابل، أفضى ازدياد التوجهات الليبراليّة الجديدة في المرحلة التي أعقبت توقيع اتفاقيّة أوسلو، والتحوّل في الأجندة السياسيّة لمنظمة التحرير الفلسطينيّة، إلى ازدياد التشرذم والفردانيّة في المجتمع الفلسطيني كما نراه اليوم، ورافق ذلك ضعف البنى الاقتصاديّة والاجتماعيّة، ما دفع الناس لتركيز اهتمامهم على التحديات الأكثر إلحاحاً.[15] وغالباً ما تفتقر برامج الرعاية الرسميّة إلى التأطير الوطني والاستراتيجي، والتفكير بالشكل الذي يجب أن تكون الرعاية عليه في

---

[6] Ellen Fleischmann, *The Nation and its 'New' Women: The Palestinian Women's Movement, 1920–1948* (California: University of California Press, 2003).

[7] Mike Joronen, 'Negotiating Colonial Violence: Spaces of Precarisation in Palestine,' *Antipode* 51/3 (2019), p. 842; Lisa Taraki, 'Introduction', in Lisa Taraki (ed.), *Living Palestine: Family Survival, Resistance, and Mobility Under Occupation* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 2008), pp. 12–3; Rema Hammami, 'Precarious Politics: The Activism of Bodies that Count (Aligning with Those that Don't)' in Judith Butler, Zeynep Gambetti and Leticia Sabsay (eds), *Palestine's Colonial Frontier* (North Carolina: Duke University Press, 2016); يحيى أبو الرب، "سلب الصمود: كيف بُنيت بُنى الحماية الاجتماعي في فلسطين وكيف هُدمت." حبر، 28 كانون الثاني 2022، متوفر على الرابط: https://www.7iber.com/politics- (تم الاطلاع عليه بتاريخ 17 فبراير/شباط 2023) إبراهيم محاجنة، "تجليات التضامن الاجتماعي لسكان المدينة العربية المنشأة في ظل الكولونياليّة الإسرائيلية،" عُمران 5\18 (2016)، 82-3.

[8] Lisa Taraki, 'Introduction', pp. 1–24.

[9] Lori Allen, 'Getting by the Occupation: How Violence Became Normal During the Second Palestinian Intifada,' *Cultural Anthropology* 23, no. 3 (2008), pp. 453–87.

[10] Rema Hammami, 'On the Importance of Thugs/The Moral Economy of a Checkpoint', *Jerusalem Quarterly* 22–3 (2005), pp. 22–3.

[11] Tobias Kelly, 'The Attractions of Accountancy: Living an Ordinary Life During the Second Palestinian Intifada,' *Ethnography* 9/3 (2008), pp. 351–76.

[12] أحمد أسعد، بلاد على أهبة الفجر: العصيان المدني والحياة اليومية في بيت ساحور (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021).

[13] المرجع نفسه.

[14] المرجع نفسه.

[15] Majdi Al Malki and Hasan Ladadwa, *Transformations of Palestinian Society Since 1948: Between Loss and Challenges of Survival* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 2018); Lisa Taraki, 'The New Social Imagination in Palestine After Oslo [*Al Mutakhaiel Alijtima'i Aljadid Fe Filestin Ba'd Oslo*]', *Idafat* 26/27 (2014), pp. 52–4; Jamil Hilal, *The Palestinian Middle Class: Research into the Confusion of Identity, Authority and Culture* (Beirut: Institute for Palestine Studies and Muwatin, The Palestinian Institute for the Study of Democracy, 2006); ليزا تراكي، "المتخيل الاجتماعي الجديد في فلسطين بعد أوسلو،" إضافات 4-52، 26\27 (2014).

السياق الفلسطيني، ويفاقم ذلك محدودية التنسيق وعدم فعاليته بين الجهات المختلفة التي تّقدم خدمات الرعاية.[16] لهذا السبب، يعتقد كثر أن معظم الفلسطينيين يعيشون خارج نظام الحماية الاجتماعيّة الرسمي الذي وضعته السلطة الفلسطينية، ويميلون بالأحرى إلى الاعتماد على علاقات القرابة والعلاقات الشخصية لتوفير الحماية الاجتماعيّة لهم.[17]

علاوة على ذلك، تأثرت الرعاية في فلسطين بالتحول نحو مأسسة المجتمع المدني، أو ما يسمى بإضفاء الطابع المؤسساتي على الحركات الجتماعية (NGOization) وتكاثر المنظمات الإنسانية والتنموية، والتي غالباً ما تكون مفصولة عن ديناميكيات الرعاية على أرض الواقع، وذات فهم محدود للموارد الثقافيّة للرعاية،[18] حيث تقوم هذه المنظمات بتعريف ماهية الرعاية، والجهات التي تستحقها، والدوافع التي تستوجبها. يتقصى الباحثون في مجال تقديم المساعدات الكيفية التي يكون عبرها توزيع الرعاية يعتمد بشكل أساسي على بُنى استعماريّة تقوم على نهج الوصاية، والتي تحرم الفلسطينيين من قدرتهم على اتخاذ قراراتهم المجتمعيّة والسياسيّة، وحقهم في تقرير المصير.[19] لقد فاقمت سياسات الاحتلال والسلطة الفلسطينيّة حاجة الفلسطينيين إلى ابتكار استراتيجيات جديدة للبقاء، ما أفضى لظهور مجالات جديدة للرعاية والتضامن.[20] واستناداً إلى ذلك، يُسلّط البحث الضوء على الممارسات المجتمعيّة الراسخة في المجتمع الفلسطيني، والتي تعتمد على بُنى مجتمعيّة ثقافيّة بدءاً بعلاقات القرابة وانتهاءً بالمبادرات المجتمعية والتطوعيّة.

يرى هلال وآخرون أن الممارسات المتجذرة في أشكال التضامن اليومية داخل المجتمع الفلسطينيّ تُشكل موارد اجتماعيّة واقتصاديّة أساسيّة تُساعد في «فهم وجود واستمرارية الأسرة الفلسطينية والمجتمع المحلي تحت الاحتلال الإسرائيلي.»[21] ويضيف البعض أن انتشار الشبكات الاجتماعية، والتضامن، والمساعدة ضمن علاقات القرابة، هو نتيجة لضعف المؤسسات الرسمية «كردة فعل مضادة لغياب الدولة الفلسطينية (...) والتناقضات في الحكم الفلسطيني المحدود منذ تلك الفترة (أي منذ العام 1994).»[22]

علاوة على العلاقات الشخصية، تشكّل الاختلافات في التركيبة الطبقية بدورها مجال الرعاية في فلسطين، وخير مثال على ذلك لجان العمل التي شكلت مؤسسات بديلة لدعم العمال في الفترة ما بين 1967-1987.[23] تتبع روبنسون إنشاء اللجان الصحيّة والزراعيّة من قبل النخبة الجديدة في ثمانينيات القرن الماضي، والدور الذي قامت به في توفير نظام الرعاية للفلسطينيين في أوقات الأزمات.[24] في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، عبّرت لجان شعبيّة قائمة على أساس التطوع

---

[16] مجدي المالكي، ياسر شلبي، حسب لدادوة، المجتمع الفلسطيني سوسيولوجيا التكيف المقاوم خلال انتفاضة الأقصى (رام الله: معهد مواطن للديموقراطية وحقوق الإنسان، 40 ،(2004).

[17] جميل مسيف، خيارات أنظمة الضمان الاجتماعي والحماية الاجتماعيّة في فلسطين: مراجعة علمية (رام الله: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني، 16 ،(2016)؛ يحيى أبو الرب، «سلب الصمود.»

[18] Mandy Turner, 'The Political Economy of Western Aid in the Occupied Palestinian Territory Since 1993', in Mandy Turner and Omar Shweiki (eds), *Decolonizing Palestinian Political Economy* (London: Palgrave Macmillan, 2014).

[19] Ilana Feldman, *Life Lived in Relief: Humanitarian Predicaments and Palestinian Refugee Politics* (Berkley: University of California Press, 2018).

[20] Penny Johnson, 'Living Together in a Nation in Fragments' in Lisa Taraki (ed.), *Living Palestine: Family Survival, Resistance, and Mobility under Occupation* (Ramallah: Institute for Palestine Studies, 2008), pp. 83–6.

[21] جميل هلال، مجدي المالكي، وياسر شلبي، نظام التكافل الاجتماعي غير الرسمي (غير المأسس) في الضفة الغربية وقطاع غزة (رام الله، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني، 17 ،(1997).

[22] Penny Johnson, 'Living Together in a Nation in Fragments', p. 85.

[23] Linda Tabar, 'People's Power: Lessons from the First Intifada' in Centre for Development Studies (ed.), *Critical Readings of Development under Colonialism: Towards a Political Economy for Liberation in the Occupied Palestinian Territories* (Birzeit: Birzeit University, 2015), p. 3.

[24] Glenn E. Robinson, 'The Role of the Professional Middle Class in the Mobilization of Palestinian Society: The Medical and Agricultural Committees', *International Journal of Middle East Studies* 25/2 (1993), pp. 301–26.

عن هدف مشترك لتجاوز المحاولات الإسرائيليّة في الهيمنة على المجتمع الفلسطيني.[25] لقد قامت بدور مهم في الحماية الاجتماعيّة خلال الانتفاضتين الأولى والثاني، من خلال بُنى الحماية التي شملت التعليم المنزلي، والرعاية الصحيّة، والإغاثة الزراعيّة والصحيّة، واللجان الاقتصاديّة؛ وأكدت هذه المبادرات الناشئة عن الاحتياجات للموارد الجماعيّة، على الاعتماد على الذات والمقاومة، وحماية الأفراد الأكثر تأثراً بالاحتلال.[26] مثّلت هذه الأعمال شكلاً من أشكال توجيه العمل من أجل بناء بدائل شعبية لتوفير احتياجات الأفراد، تنفصل عن المنظومة الاستعماريّة، ولكن في ذات الوقت شكّلت مؤسسات بديلة لتلك المؤسسات الفلسطينيّة التي تُديرها الدولة. كان للجان الشعبيّة أيضاً أهمية في ابتكار برامج للتعليم والتوعية السياسيّة بين كافة الأجيال.[27] من هذا المنطلق، أضحت الرعاية آليّة تم من خلالها استخدام أدوات محليّة لتموين الأفراد والمشاركة في اتخاذ القرارات السياسيّة الفعالة والتوعية بذلك.

لم تبقَ أدوات وأشكال بُنى الحماية هذه ثابتة، إذ تغيرت مع تغيّر المراحل والسياقات.[28] أدت القيود البنيويّة المستمرة للنظم التي ترعاها الدولة، كالاستغلال والحدود الجيوسياسيّة والتهميش، على مدى التاريخ إلى تشكيل البنية التحتيّة للرعاية في المجتمع،[29] بيد أنها أيضاً حدّدت وأثّرت على الطُرق التي يتم من خلالها مُمارسة الرعاية، وكذلك على الفاعلين النشطين في تقديمها. في الفترات التي تميّزت بالأزمات المتصاعدة، مثل الحرب، أو جائحة كوفيد-19، تؤثر القيود المفروضة على الحركة، والإغلاق والحصار على العلاقات الاجتماعيّة، وعلاقات القرابة التي تلعب دوراً مهماً في الرعاية.[30]

على الرغم من ظهور المبادرات المجتمعية من جديد بعد عام 2011 على هيئة الحركات الاجتماعية، والحملات والحركات النضالية كمحاولة لاستنساخ حالات الحراك الحاصلة في الدول العربية المجاورة أثناء «الربيع العربي»،[31] إلا أن أنظمة الحماية الاجتماعيّة والرعاية تُعتبر أكثر انحساراً في العقد المنصرم مقارنة بالسنوات السابقة له.[32] كشفت جائحة كوفيد-19 عن مدى الفروقات القائمة والمنتشرة في أنحاء المدينة، ما أدى إلى حرمان سكان المناطق الحضريّة من حقهم في الحياة وإن بشكل متفاوت. مع ذلك، قدّم هذا لهم أيضاً فرصة لاستعادة مدنهم من خلال وضع تصوّر جديد للحياة المشتركة فيها.

حسن الجوار، والرفقة، والقرابة، بوصفها أشكالاً للرعاية في فضاء فلسطين الحضري

لطالما عاشت المدن الفلسطينيّة حالة من التغيّر الدائم المفروض عليها بسبب للاحتلال، حيث أدت الحواجز العسكرية والفصل والضم الاستعماري، إلى تشرذم الجغرافيا الفلسطينية، وإعادة تنظيمها بما يخدم أهدافه للهيمنة والرقابة على الأحياز الحضريّة والريفيّة.[33] أدى ذلك إلى تدفق هجرة داخلية من المناطق الريفيّة إلى الأحياز الحضريّة الجديدة

[25] ليث حنبلي، «كيف يُرمم الدمار: اللجان الشعبية اللجان الشعبية إحدى الإجابات،» متراس، 6 يونيو/حزيران 2023. على الرابط: https://metras.co/حا-ةيبعشلا-ناجلا-؟رامدلا-ممري-فيك/ (تم الاطلاع عليه بتاريخ 17 فبراير/شباط 2023).

[26] Tabar, 'People's Power,' p. 13; حنبلي، "كيف يرمم الدمار"؛ ليث حنبلي، "إعادة تصور التحرر من خلال اللجان الشعبية،" الشبكة، 16 شباط/فبراير/شباط 17 تم الاطلاع عليه بتاريخ) https://al-shabaka.org/briefs/عشلا-ناجلا-لالخ-نم-ر ير حتلا-ر وصت-قداعا/ على الرابط. 2022 2023).

[27] المرجع نفسه؛ حنبلي، «إعادة تخيّل التحرر».

[28] مجدي المالكي، مُقابلة شخصية، 18 سبتمبر/أيلول 2022.

[29] Alam, Ashraful and Donna Houston, 'Rethinking Care as Alternate Infrastructure', *Cities* 100 (2020), p. 102662.

[30] Penny Johnson, 'Living Together in a Nation in Fragments', pp. 81–138.

[31] Ahmad Jamil Azem, *The Palestinian Youth from Movement to Mobilization (1908–2018)* (Ramallah: The Palestinian Center for Policy Research and Strategic Studies - Masarat, 2019), p. 81.

[32] يحيى أبو الرب، «سلب الصمود.»

[33] مجدي المالكي وسليم تماري، «مقدمة: المدينة الفلسطينيّة وتحديّات التحضر،» في مجدي المالكي وسليم تماري (تحرير)، المدينة الفلسطينيّة: قضايا في التحولات الحضرية (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 18-3 (2021).

والهجينة،[34] ورافقها ظهور أشكال جديدة من التنظيم الاجتماعي والشبكات الاجتماعية والثقافية. وعلاوة على دور الاحتلال في «تقطيع أوصال المكان،»[35] أفضى اعتماد سياسات الليبراليّة الجديدة في المرحلة التي أعقبت توقيع اتفاقيات أوسلو إلى تشكيل طابع جديد للمدن الفلسطينيّة يطغى عليه الاكتظاظ بالمؤسسات الحكوميّة ومنظمات المجتمع المدني، وإضفاء صبغة اقتصاد السوق الحرة على الفضاء العام من خلال مراكز التسوق الكبيرة، والمطاعم، والفنادق، وغيرها من أماكن الخدمات الاستهلاكيّة.[36]

يرى البعض أن الطبقات الوسطى التي تعيش في هذه المدن تتطلع إلى التنمية والتمويل؛ فقد أضحت رام الله، على سبيل المثال، باعتبارها مقراً للسلطة الفلسطينيّة، محصّنة من الصدمات الاجتماعيّة،[37] إذا ما قورنت بالمدن الفلسطينيّة الأخرى، نظراً للتجمع الكبير لمؤسسات السلطة الفلسطينيّة، والمنظمات غير الحكوميّة، المحليّة منها والدوليّة. وبشكلٍ لافت، جاء ذلك بالتزامن مع التراجع العام في الممارسات الجماعيّة التي تُعنى بالرعاية، كالعمل التطوعي والتضامن.[38] خلال الأشهر الأولى من الجائحة، فاقمت الإغلاقات المفروضة على المدن والقُرى في الضفة الغربية من حالات الانقسام الجغرافي والشعور القائم بالتشرذم، حيث أصبحت المدن أكثر انعزلاً عن بعضها بسبب الحواجز التي أقامتها السلطة الفلسطينيّة.[39] وبذلك، أضحت المواقع الحضريّة، كالأحياء والمنازل والمباني السكنيّة، الأحياز الأساسيّة لتفعيل بُنى الحماية الاجتماعيّة التحتيّة وتطويرها.

نستخدم في هذه الدراسة مفهوم «البُنى التحتيّة للرعاية» لفحص العلاقة المتبادلة ما بين أحياز الحياة اليوميّة ومُمارسات الرعاية، بصفتها منظومات تُعبّر عن التواصل الاجتماعيّ وتداول المساعدة، حيث تُعتبر «بُنى تحتيّة اجتماعيّة وتقنية يمكن أن تصنعها المُجتمعات وتتقاسمها.»[40] يُمكن أن نجد الرعاية في مختلف أحياز الحياة اليوميّة التي يُساهم الأفراد ومُمارساتهم وطقوسهم عبرها بتكوين البنية التحتيّة الحضريّة.[41] للأحياز الحياة اليومية أهمية في كونها «تربط الأفراد وحيواتهم، ونشاطاتهم المتركّزة في هذه المساحات العامة،»[42] فهذه الأماكن، من أحياء، وأسواق، ومحال، وكنائس، ومساجد وحدائق، وغيرها، تُفسح المجال لتسليط الضوء على هذه المُمارسات وتبادلها في المجتمع. إلا أن مُمارسات الرعاية تختلف ما بين مراكز المدينة وضواحيها، وبين مخيمات اللاجئين والمناطق الريفيّة، وحتى بين المناطق المختلفة داخل المدن نفسها. نقوم في هذا البحث بفحص هذه المُمارسات باستخدام مفاهيم التكافل، والتداول، والمُعاملة بالمثل، والمُنعكسة في أنماط علاقات حسن الجوار والقرابة، والتي تؤثر على التقارب والحميميّة والرفقة التي يشهدها الحيز.

تتشكل الرعاية في مدينتي رام الله والبيرة المُجاورة لها عبر التحولات السياسيّة والاجتماعيّة المُختلفة، بما في ذلك الهجرة

34 المرجع نفسه.

35 Lisa Taraki, 'Enclave Micropolis: The Paradoxical Case of Ramallah/al-Bireh', *Journal of Palestine Studies* 37/4 (2008), pp. 6-20.

36 Khaldun Bshara, 'Modernist Ramallah: Courses for Understanding Urban Planning Under Occupation [*Ramallah al Hadathiyeh: Masaqat Li Fahm Al Takhtit Al Hadari Taht Al Ihtilal*]' in Al Malki and Tamari (eds), *The Palestinian City*, pp. 248–50.

37 Hilal, 'The Palestinian Middle Class'.

38 Ayman Abdul Majeed, 'Introduction to the Palestinian Situation and Current Trends' in Jamil Hilal (ed.), *Palestinian Youth: Studies on Identity, Space and Community Participation* (Birzeit: Center for Development Studies – Birzeit University and American Friends Service Committee, 2017), p. 38.

39 مجدي المالكي، مقابلة شخصيّة، 19 سبتمبر/أيلول 2022.

40 Abby Mellick Lopes, Stephen Healy, Emma Power, Louise Crabtree and Katherine Gibson, 'Infrastructures of care: Opening Up 'Home' as Commons in a Hot City', *Human Ecology Review* 24/2 (2018), p. 43.

41 Shannon Mattern, 'Maintenance and Care', *Places Journal*, November 2018. Available at: https://doi.org/10.22269/181120 (accessed 17 February 2023); AbdouMaliq Simone, 'People as Infrastructure: Intersecting Fragments in Johannesburg', *Public Culture* 16/3 (2004), p. 407.

42 Lima Najjar and Shadi Ghadban, 'In-Between Forgotten Spaces in Palestinian Cities: The Twin Cities of Ramallah and Al-Bireh as a Case Study', *Sustainable Development and Planning* 7 (2015), p. 811.

الداخليّة إليهما والتي أثرت بشكل جليّ في التركيبة الديموغرافيّة والنسيج الحضري. تُعتبر رام الله مدينة مُختلطة من المُهاجرين ذوي الهويات الفرعيّة المُختلفة،[43] نتيجة لانتقال الأفراد إلى المدينة وداخلها، يصعب عليهم الحفاظ على علاقاتهم الشخصية مع مرور الوقت، ما يكوّن أحياءً ذات تنوع في التركيبات الثقافيّة.[44] وعلاوة على ذلك، أدى التنظيم الحضري الذي تلا اتفاقية أوسلو، بما في ذلك لوائح تقسيم المناطق، وارتفاع أسعار الأراضي، وتوافر قروض الإسكان وخطط البناء التجاري، إلى تعميق الفصل السكاني وظهور الفوارق الطبقية القائمة على المكان والوضع الاجتماعي. بحيث بدأ في حينها ظهور أنواع مختلفة من أحياء الطبقة المتوسطة والعليا مثل الماصيون والطيرة، إلى أحياء أكثر شعبيّة على أطراف هذه المُدن.[45]

التضامن بوصفه رعاية أثناء الجائحة في فلسطين

كشفت الجائحة عن مكامن الهشاشة والقوة للبُنى التحتيّة الحضريّة للرعاية وتحديات التكيّف مع أزمة أخرى تُضاف للأزمات القائمة. يسلط هذا القسم من الورقة البحثية الضوء على العلاقة ما بين التكيّف والرعاية أثناء الجائحة في فلسطين.

بالاستفادة من الأدبيات حول الرعاية في مناطق الجنوب العالمي والدراسات الحضريّة، وعبر استخدام أمثلة توضح كيف ساهمت المُبادرات الشعبية في تكيّف الفلسطينيين خلال كوفيد-19، عبر مُمارسات يوميّة للأفراد والمجتمعات داخل الأحياز الحضريّة، نُسلط الضوء على شبكات التكافل بوصفها عناصر مهمة في الحياة الاجتماعيّة.[46] وعليه، لا ينبغي النظر إلى الرعاية من خلال منظور أخلاقي أو معياري، بل باعتبارها مُمارسة تُحددها مجتمعات غير متجانسة، و أشكال الانتماءات المتعددة فيها.[47] نتناول مُمارسات تتجاوز بُنى الدولة القومية ومُنظمات «الإغاثة» الليبراليّة الدولية، بما يسمح بالتالي للأفراد باتخاذ قرارتهم الفعالة وتنظيم أنفسهم في إطار علاقات مُختلفة.[48] و بالتالي، فإننا نأخذ بعين الاعتبار هوية متلقي ومقدمي الرعاية على تعدد خلفياتهم، عبر التركيز على «العمل في مجال الرعاية» وكذلك «مَن لا يحظى بالرعاية، ومَن يتلقى الرعاية ومَن لا يتلقاها، ومَن المتوقع أن يقوم بالرعاية، بأجر أو بدونه.»[49]

تمهيد: الجائحة في فلسطين

تخلق استمرارية وجود مصدر تهديد خارجي حاجة للعمل الجماعي و«التآزر.»[50] وتكتسب الفئات الاجتماعيّة المُهمشة قوة ثانوية عبر العمل الجماعي وأشكال المقاومة اليوميّة.[51] تم التعاطي مع الجائحة على أنها تهديد خارجي يحركه

[43] أحمد عز أسعد، مُقابلة شخصية، 15 أغسطس/آب 2022.

[44] مجدي المالكي، مُقابلة شخصيّة، 19 سبتمبر/أيلول 2022.

[45] Taraki, 'Ramallah and Al-Bireh', pp. 15–6.

[46] Maria Puig de la Bellacasa, '"Nothing Comes without Its World": Thinking with Care', *The Sociological Review* 60/2 (2012), pp. 211–2.

[47] Ashraful Alam and Donna Houstion, 'Rethinking Care as Alternate Infrastructure', *Cities* 100 (2020): pp. 8–9.

[48] المرجع نفسه، 7.

[49] Hi'ilei Julia Kawehipuaakahaopulani Hobart and Tamara Kneese, 'Radical Care: Survival Strategies for Uncertain Times', *Social Text* 38/1 (2020), p. 3.

[50] Colette Harris, 'The Changing Identity of Women in Tajikistan in the Post-Soviet Period' in Freide Acar and Ayse Ayata (eds), *Gender and Identity Construction: Women of Central Asia, the Caucasus and Turkey* (Leiden: E.J. Brill, 2000); Islah Jad, *Women at the Crossroads: The Palestinian Women's Movement between Nationalism, Secularism and Islamism* (Ramallah: MUWATIN - The Palestinian Institute for the Study of Democracy, 2008), p. 37.

[51] Jad, *Women at the Crossroads*, p. 37.

الخوف والتوتر أساساً، بالإضافة إلى الإحساس بالمسؤولية الجماعية للسيطرة على الوباء والحد من انتشاره. تعمل آليات الهيمنة الاجتماعيّة والمكانية الاستعماريّة على إضعاف البُنى السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وبدا واضحاً في البحث الميداني أن التداخل ما بين بُنى الاستغلال والتهميش والحدود السياسيّة المفروضة في فلسطين قد أنتج أوضاعاً هشة إضافيّة، كما هو موضحٌ في البيانات أدناه.[52] وقد اشتملت تلك البيانات على التحديات اليوميّة المتمثلة في العثور على العمل والحفاظ عليه، كما هو الحال في السياق العالمي بسبب فقدان الوظائف بأعداد هائلة نتيجة للجائحة، والتي فاقت فترة الأزمة الماليّة لعام 2008.[53]

كان من أكثر الفئات تضرراً أثناء الجائحة العمال الفلسطينيون من الضفة الغربيّة وقطاع غزة الذي يعملون في إسرائيل.[54] تُشير البيانات إلى أن حوالي سُدس أرباب الأسر في فلسطين توقفوا عن العمل أثناء الجائحة، بينما ما يناهز نصف العائلات خسرت نصف دخلها.[55] كما سيطر القلق على أكثر من 60% من العائلات الفلسطينيّة لعدم امتلاكها ما يكفي لتأمين قوتها.[56] في ذات الوقت، أفضى الاعتماد الشديد للاقتصاد الإسرائيليّ على العمالة الفلسطينيّة إلى وضع ترتيبات معيّنة لمواصلة إدخال 55 ألف عامل في قطاعاتٍ أساسيّة.[57] تُبيّن الأبحاث أن هؤلاء العمال تعرضوا لاستغلال إضافي، وحُرموا من السكن والرعاية الصحيّة.[58] بينما حصل 15% فقط من العائلات أثناء الجائحة على مساعدات اجتماعيّة على شكل قسائم أو معونات غذائيّة.[59] بيد أن ذلك لا يعني بالضرورة أن الجهات الحكوميّة والمؤسساتيّة لم تلعب دوراً أثناء الجائحة، وهو ما سيتم تسليط الضوء عليه في قسمٍ لاحق.

يتم تحديد الآليات الاستعماريّة أيضاً من خلال الحدود المفروضة على الحكم المحلي والسلطة، فضلاً عن الحفاظ على نظم الحواجز الحدوديّة والمُراقبة الصارمة، وخلال العدوان، شددت إسرائيل هذه النظم.[60] وهكذا، اضطر الفلسطينيون على التعايش مع قيود على الحركة إضافة لتلك المفروضة أصلاً، بما في ذلك القيود المفروضة على دخول المعدات الصحيّة والمخبريّة اللازمة لاختبار وعلاج المصابين بكوفيد-19،[61] وإعاقة وصول 2000 جرعة من اللقاحات المُخصصة من وزارة الصحة الفلسطينيّة للعاملين في القطاع الطبي في غزة، حسبما تناقلته الأخبار.[62] وقد أشارت الأمم المتحدة إلى عدم انتظام توريد اللقاحات، مسلطةً الضوء على التدابير المقيدة التي عرقلت الظروف الصحية في المناطق التي كان تدخّل السلطة الفلسطينية فيها محدوداً للغاية.[63] عانى قطاع الصحة من نقص مزمن في المعدات الطبية والأسِرة والموظفين

---

[52] Lorenzo Veracini, 'Introducing Settler Colonial Studies'; Omar Jabry Salamanca et al., 'Past is Present: Settler Colonialism in Palestine'; Patrick Wolfe, 'Settler Colonialism and the Elimination of the Native'.

[53] BBC News, 'UN: Covid Jobs Crisis "Most Severe" Since the 1930s', 25 January 2021. Available at: https://www.bbc.com/news/business-55803092 (accessed 19 February 2023).

[54] Rafeef Ziadeh and Riya Al-Sanah, 'Palestinian Workers Are Bearing the Brunt of the Pandemic,' *Jacobin* (2020), p. 1.

[55] Palestine Central Bureau of Statistics, 'Palestinian Central Bureau of Statistics (PCBS) Announces Results of Impact of COVID-19 Pandemic (Coronavirus) on the Socio-economic Conditions of Palestinian Households Survey (March-May), 2020,' 2020. Available at: https://www.pcbs.gov.ps/post.aspx?lang=en&ItemID=3825 (accessed 17 February 2023).

[56] المرجع نفسه.

[57] Ziadeh and Al-Sanah, 'Palestinian Workers Are Bearing the Brunt of the Pandemic', p. 3.

[58] المرجع نفسه.

[59] Palestine Central Bureau of Statistics, 2020.

[60] Elia Zureik, 'Colonialism, surveillance, and population control: Israel/Palestine,' in Elia Zureik, David Lyon and Yasmeen Abu-Laban (eds), *Surveillance and Control in Israel/Palestine* (London and New York: Rutledge, 2011)

[61] يارا عاصي، «الاحتلال في زمن كوفيد-19: صحة الفلسطينيين مسؤولية إسرائيل،» الشبكة، 15 تشرين الثاني 2020، على: https://al-shabaka.org/briefs/بينيطسلفلا-ةحص-19-ديفوك-نمز-يف-لاتحالا (تم الاطلاع عليه بتاريخ 17 فبراير/ شباط 2023).

[62] عزيزة نوفل، «لقاحات كورونا في فلسطين: فساد، انقسام، والتوظيف السياسي،» حبر، 22 مارس/آذار 2021. على الرابط: https://www.7iber.com/politics-economics/ (تم الاطلاع عليه بتاريخ 5 مايو/ أيار 2023).

[63] OCHA, 'COVID-19 Emergency Situation Report 24 (3-16 December 2020)', 17 December 2022. Available at: https://www.ochaopt.org/sites/default/files/sitrep_24_3-16-dec-2020.pdf (accessed 17 February 2023);

(حوالي 6440 سريراً فقط في الضفة الغربية وغزة مجتمعتين)، ما أدى إلى تفاقم آثار الأزمة الصحية وأزمة الإمدادات.و وصف العديد من الفلسطينيين الوضع بأنه «أزمة فوق أزمة»، وأن ما عايشوه يعدّ تقاطعاً وحشياً بين الوباء والاحتلال.[64]

استجابةً للجائحة، اعتُمدت ممارسات الرعاية على الفور، باعتبارها مفهوماً ثقافياً يرتكز على شبكات القرابة والحس المجتمعي.[65] وقد أدى الدعم الحكومي المحدود والافتقار إلى نظام ضمان اجتماعي عام في فلسطين، إلى خلق شعور لدى السكان بأنه تم التخلي عنهم. مثلما عبّر رجل يعيش في قرية بالقرب من رام الله عن ذلك قائلاً: «السلطة الفلسطينية تتخلى عنا (مَنْ في القرى خارج المدينة)، وإسرائيل لا تهتم بنا، فمن سيقف معنا إذا لم نقف مع بعضنا البعض؟»[66]

تأتي المساعدة المتبادلة، في جوهرها، من «الوعي بأن الأنظمة (الرسميّة) الموجودة لدينا لن تلبي (احتياجات البقاء).»[67] أظهرت الاستجابات المحلية للجائحة في مخيم البداوي (في لبنان) أنه من خلال المساعدة المتبادلة سعى الفلسطينيون إلى سد الثغرات ومعالجة أوجه اللامساواة التي أنشأتها، وأعادت إنتاجها، الجهات الفاعلة، الوطنية والدولية على حد سواء.»[68]

وذلك لا يعني انعدام وجود خطط ومُبادرات حكوميّة ورسميّة للرعاية. في الواقع، كانت هذه الخطط والمُبادرات أكثر بروزاً وحضوراً في وسائل الإعلام السائدة، مُقارنة بالمبادرات الشبابيّة. ومن الأمثلة على ذلك مُبادرة «وقفة عز»، وهي مبادرة حكومية موجهة نحو جمع التبرعات من الأفراد، وشركات القطاع الخاص، لدعم المتضررين من الجائحة، وخاصة أسر العمال الذين فقدوا دخلهم. وفي حين ينظر بعض الناس بشكل إيجابي إلى دور المؤسسات الرسمية في إدارة الجائحة، فإن الكثيرين لهم رأي آخر. حيث قيّموا دور المؤسسات الرسميّة خلال الجائحة من خلال إخفاقاتها المتمثلة في عدم قدرتها على التواصل مع المجتمع، أو الوصول إلى من هم في أمس الحاجة إليها، وعدم جدارتها بالثقة، وسوء التخطيط، خاصة فيما يتعلق بصندوق «وقفة عز.»[69] لم تُظهر هذه المبادرات الحكومية ضعف السياسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي تنتهجها السلطة الفلسطينية فحسب، بل أظهرت أيضاً عدم موثوقيّة القطاع الخاص الفلسطيني كمساهم فعال في التضامن المجتمعي.[70] ووصف بعض السكان ومجموعات المجتمع المحلي تبرعات القطاع الخاص المتغيرة أثناء الوباء على أنها غير كافية، إذ لم يُنظر إلى التبرعات الخيريّة على أنها بديل كافٍ للمسؤوليّة الاجتماعيّة التي يتوجب أن تكون أكثر تماسكاً.[71]

مُمارسات الرعاية خلال كوفيد-19 في فلسطين

عزز عدم نجاعة المُبادرات الرسميّة أهميةَ الرعاية المُتبادلة. ساهمت مُبادرات الرعاية، بما فيها العمل التطوعي ولجان

عوض رجوب، «منطقة «ج». خاصرة السلطة الرخوة في مواجهة كورونا،» الجزيرة، 12 أبريل/نيسان 2020. على: https://www.aljazeera.net/politics/2020/4/12/قطاع-ج-السلطة-طفلة-فلسطينية (تم الاطلاع عليه بتاريخ 17 فبراير/ شباط 2023).

[64] Weaam Hammoudeh, 'The End of the Tunnel is Unclear': Reflections on the Covid-19 Pandemic Under Occupation,' presentation, not published.

[65] مجدي المالكي، مُقابلة شخصية، 18 سبتمبر/أيلول 2022.

[66] مُقابلة مع أحد سكان قرية دير نظام، أغسطس/آب 2022.

[67] Dean Spade, *Mutual Aid: Building Solidarity During this Crisis (and the Next)* (New York: Verso Books, 2020), p. 4.

[68] Elena Fiddian-Qasmiyeh, 'Responding to precarity: Beddawi Camp in the era of Covid-19', *Journal of Palestine Studies* 49/4 (2020), p. 32.

[69] أحمد عز أسعد، «البلد بحميها أهلها: صندوق وقفة عز، تفاؤل الإرادة وتشاؤم العقل،» مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 18 مايو/أيار 2022، على: https://www.palestine-studies.org/ar/node/1650092 (تم الاطلاع عليه بتاريخ 17 فبراير/ شباط 2023)؛ سليم أبو ظاهر، «كورونا: جائحة ومُمارسات مستجدة،» مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 18 أيار 2020، على: https://www.palestine-studies.org/ar/node/1650094 (تم الاطلاع عليه بتاريخ 17 فبراير/شباط 2023).

[70] Abaher El Sakka, 'Between the Palestinian Authority's Social Policies and Israel's Occupation Policies: Palestinians `during the Corona Pandemic', *Arab Forum For Alternatives* (2021), p. 112; عز أسعد، «البلد بحملها أهلها».

[71] عز أسعد، «البلد بحملها أهلها.»

الأحياء، في دعم المُحتاجين بشكل أفضل؛[72] إذ قدمت أشكالاً مختلفة من الرعاية تعكس التكافل، والمُعاملة بالمثل، والتضامن، والحس المجتمعي، التآزر والتعاضد، والترابط. كشف العمل الميداني في الأحياء المختلفة في رام الله والبيرة، إضافة إلى عملية رصد مُبادرات الرعاية المختلفة، أن الرعاية تجلت متضافرة في أشكال متنوعة للتغلب على الجائحة.[73]

1. تقديم الخدمات

لطالما تمثلت إحدى أشكال الرعاية الشائعة في المجتمع الفلسطيني في تقديم الخدمات، وذلك عبر إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها، بما في ذلك الخدمات التعليميّة والصحيّة. سلّط العمل الميداني الضوء على استمراريّة هذه الظاهرة خلال الجائحة والإغلاق، وعلاقة ذلك بإنتاج السلع، والتي غالباً ما تكون زراعيّة، حيث يتقاسم الناس ما ينتجونه أو يزرعونه مع جيرانهم بكميّات قليلة يسيرة التكلفة. وكان هذا الشكل بالتحديد هو من أشكال الرعاية التي سادت أثناء الانتفاضتين الأولى والثانية.[74] لقد أظهرت مجموعة من الحملات أن الرعاية بإمكانها أن تكون ماديّة، ومن الأمثلة على هذه الحملات: «الناس لبعض» في رام الله و«الخير فيك يا بلد» في ضواحي القدس، و«جسد واحد» في قطاع غزة.

تولى الجيل الشاب إجراء وإدارة جميع هذه المبادرات تقريباً، ما يُجسد النشاط الشبابي غير الرسمي في فلسطين، ودورهم كفاعلين اجتماعيين في مجال الرعاية، في ظل غياب الرعاية الرسميّة. صرّح أحد الفاعلين في حملة «الناس لبعض» بأن الحملة وجدت لسد الفجوة القائمة في نظام الرعاية الرسميّة، وأكدت عملية رصد المُبادرات على ذلك؛ إذ لم تعرض هذه الحملات مُبادرة الشباب باعتبارهم جهة فاعلة في مجال الرعاية فحسب، بل أظهرت أيضاً تضامناً اجتماعياً واسع النطاق. تنوعت التبرعات المجتمعيّة ما بين العينيّة والماليّة، وشملت على سبيل المثال فتح المخابز أبوابها للحملات وسمحت باستخدام الأفران لإعداد الخُبز، أو كمساحة لتحضير المعونات الغذائية. كما قدمت هذه الحملات المساعدة العينيّة والاحتياجات الأساسيّة للعائلات الفقيرة خلال الجائحة. يُشير أحد النشطاء إلى أن «العديد من المؤسسات والشركات ساهمت وتطوعت، إما عبر العلاقات الشخصيّة أو الاجتماعيّة،» مُقراً بأنه كان لهذه العلاقات أهميّة في جمع التبرعات للحملة.[75] وأظهرت حملات أُخرى للتضامن المجتمعي هذا الأمر كذلك، وبالتحديد «جسد واحد» التي استمرت منذ ما قبل جائحة كوفيد-19 بفضل التبرعات المجتمعيّة. بينما توقف عمل حملات أخرى بالتزامن مع توقف التبرعات الماليّة، ما يُبيّن محدوديّة الرعاية غير الرسميّة.

عبر تحليل صفحات هذه الحملات على مواقع التواصل الاجتماعي، وبالاستناد إلى المُقابلات التي أُجريت مع إثنين من النشطاء، أظهر الشباب الفلسطينيّ مدى وعيهم بضرورة مساعدة الناس في الأزمات، ودورهم الطليعي في أخذ زمام المُبادرة في تنظيم مُمارسات الرعاية. وباستخدام شعارات من قبيل «الناس لبعض في وقت الحاجة،» يُظهر الشباب التضامن المجتمعي، والترابط، والتآزر بوصفها عناصر أساسيّة للرعاية. بينما استخدمت حملات أخرى مهارات يتمتع بها النشطاء بالأساس لدعم المُجتمع في النجاة من الوباء وتحمّل الإغلاق؛ فقد قامت حملة «إيد بإيد» بتوفير فحوصات ومتابعات طبيّة مجانيّة لأفراد المجتمع، بمساعدة مباشرة من الكوادر الطبيّة والجهات الرسميّة الأخرى، لكيلا تشكل الضغوط الماليّة عبئاً على صحة الناس. أما في حيّ المصايف، فقد قدّم الأفراد خدمات تعليميّة، تشمل حصص اللغة الإنجليزيّة واللغة العربيّة والتربية الدينيّة، عبر الهاتف، لضمان استمراريّة العمليّة التعليميّة خلال فترة الإغلاق.

[72] El Sakka, 'Between the Palestinian Authority's Social Policies and Israel's Occupation Policies', p. 113.

[73] قد تكون ممارسات الرعاية مختلفة من حيث الشكل والحجم في أحياء أخرى لم تغطيها هذه الورقة.

[74] Taraki, 'Introduction', pp. 1–24.

[75] مُقابلة مع أحد النشطاء، يوليو/تموز 2022.

2. تفقّد أحوال الناس

أضحى الدعم المعنوي وسيلة أساسيّة للرعاية خلال الإغلاق والقيود على حركة الأفراد، إذ استبدل أفراد المجتمع الزيارات المنزليّة بالمكالمات الهاتفيّة، ووسائل التواصل الاجتماعيّة، لتفقّد أحوال بعضهم البعض والاطمئنان على صحة الآخرين، وإمكانيّة حصولهم على الاحتياجات الأساسيّة. أفاد أحد سكان مدينة البيرة أنهم كانوا يتفقدون أحوال جيرانهم بقوله «كنّا نعتني بمن يُصاب، أو نسأل عما إذا تماثل أبنائهم للشفاء (...) رحّب الناس بالمُكالمات الهاتفيّة، ولم يشعر أحد بالاستياء (أي تجاه استبدال الزيارات المنزليّة بالمكالمات الهاتفيّة).»[76] أضحى تفقّد الأحوال أحد أشكال التضامن التي تم التعبير عنها بغض النظر عن البُعد. بينما أشار أحد السُكان إلى أن العُزلة لعبت دوراً في إعادة بناء العلاقات الاجتماعيّة المتسمة بالفتور.[77] علاوةً على ذلك، أصبح تفقد الأحوال شرطاً أساسيّاً لتوزيع الرعاية وتحديد المحتاجين للضروريات الأساسيّة من كبار السن ومَن يعيشون بمفردهم. أعرب أحد ساكني مدينة البيرة عن التنوع في الرعاية في الحي بقوله: «كان جاري يتفقد أحوال الجميع ويساعدهم، وأنا لا أعني في الاحتياجات الماليّة، بل بأي شيء.»[78] أظهرت المُقابلات في مدينتيّ البيرة ورام الله تكافل أفراد المُجتمع بهذا الخصوص. أعرب أحد الشباب في حي المصايف في مدينة رام الله عن أهميّة تفاعله مع زبائن كُشك الطعام الذي كان يُديره، إذ استطاع عبر هذا التفاعل تحديد المحتاجين للمُساعدة، وتقديم ما يحتاجون إليه.

3. العُزلة بوصفها همّاً جماعياً

أضحت العزلة الذاتية شكلاً أساسيّاً من أشكال الرعايّة غير الماديّة في المجتمعات خلال الجائحة. أشار أحد سُكان حي الطيرة عن العلاقة ما بين الرعاية والعزل وأن «أفضل ما يُمكنك أن تُقدمه لجيرانك هو النجاة، والتي لن تكون مُمكنة دون العزل.»[79] أما ساكن آخر من حي المصايف فقد سلّط الضوء على العلاقة ما بين الأجيال والعزل، مؤكداً على أنهم «كشباب، لا نهتم كثيراً بصحتنا، ولكن نشعر بالقلق كوننا نعيش مع كبار السن مثل والدينا،»[80] ولهذا اختاروا الالتزام بالعزل. تمت في هذه الحالة رعاية الآخرين عبر البقاء في المنازل، أو كما عبر عنها أحد الذين قابلناهم، عبر كسر العزل فقط عند التأكد بشكل قاطع بعدم وجود إصابة، والتجمع في الأماكن المفتوحة. «حتى وإن رغب جيرانُنا في تقديم المساعدة لنا، كنا نرفض ذلك في حال كُنا مُصابين (...) في نهاية المطاف، نحن لا نُريد إيذاء الآخرين،»[81] هكذا لخص أحد سُكان مدينة البيرة فكرة العزل كأحد أشكال مُمارسات الرعاية. في حين يتم التطرق إلى مفهوم العزل بدلالات سلبيّة، فإن العُزلة خلال الجائحة عبّرت عن درجة عاليّة من التضامن والحس المجتمعي. شددت حملة «إيد بإيد» في ملصقاتها الإرشاديّة على ضرورة العُزلة كجزء من «الشعور بالمسؤولية المجتمعيّة» في أوقات الأزمات. كما دأب الأطباء على تقديم الاستشارات الطبيّة عبر الهاتف، وفي كثير من الأحيان قدموا المساندة الطبيّة للذين ما زالوا ينتظرون نتائج فحص كوفيد-19 للتقليل من التفاعلات المباشرة وزيادة حماية مجتمعاتهم.

4. التعازي والمُواساة

تمثَّل أحد أشكال الرعاية أثناء الجائحة في تقديم التعازي، وبشكل أكثر تحديداً، في كيفية القيام بذلك. في

[76] مُقابلة مع أحد سُكان مدينة البيرة، يوليو/تموز 2022.
[77] المرجع نفسه.
[78] المرجع نفسه.
[79] مُقابلة مع أحد سُكان مدينة رام الله، يوليو/تموز 2022.
[80] مُقابلة مع أحد سُكان مدينة رام الله، سبتمبر/أيلول 2022.
[81] مُقابلة مع أحد سُكان مدينة البيرة، يوليو/تموز 2022.

ظل حالة الإغلاق، فُرضت قيود على إقامة الجنازات، ولكن التعبير عن التعازي كان وسيلة للتعبير عن الحزن والرعاية والتضامن في أوقات الأزمات. تم تسليط الضوء على الآداب المُرتبطة بتقديم التعازي خلال المُقابلات في سياق النقاش حول الرعاية المُجتمعيّة والترابط. نظراً للدور المُهم التي لعبته وسائل التواصل الاجتماعيّ في تفقد الأحوال خلال الجائحة، لم يُعتبر تقديم التعازي عبر فيسبوك أمراً غير لائق، أو حتى مُخجلاً، كما كان الحال قبل الجائحة. على النقيض من ذلك، اعتُبرت المُكالمة الهاتفية وسيلة مناسبة أكثر، إضافة إلى أن البعض قدّم التعازي على باب المنزل، دون الدخول إلى المنزل للحفاظ على قواعد التباعد الاجتماعيّ. يُضاف إلى ذلك كون الكيفية التي يتم بها تقديم التعازي تعتمد على درجة القرابة؛ فالالتزام بتقديم واجب التعازي للأقارب حتى في ظل الجائحة، كان يتم باتخاذ تدابير احترازيّة صارمة.

5. الرعاية عبر تقديم المعلومات

شكّل توفير المعلومات المتعلقة بالصحة أحد أشكال الرعاية خلال الجائحة. استخدمت الجهات الرسميّة وغير الرسميّة في المجتمع الفلسطيني وسائل التواصل الاجتماعيّ والشوارع لنشر المعلومات المرتبطة بالصحة، وتوعية المجتمع حول الجائحة ومكافحة الفيروس. مثلاً، مثّلت حملة «إيد بإيد» حركة طوعيّة شبابيّة قدمت التوعية حول الرعاية الصحية في ضواحي مدينة القدس عبر تنظيف المرافق العامة، وتوزيع المُعقمات والكمامات ومستلزمات التنظيف، بالإضافة إلى توزيع الرسوم التوضيحيّة. أظهرت الحملة مُشاركة ملحوظة للشباب المتطوعين في العمل المجتمعي والتضامن في المجتمع.

مصدر الملصق: مركز المنتدى الثقافي، 2020

تمكنت هذه المبادرات من الاستفادة من قنوات إعلامية جديدة للعمل المجتمعي الفعّال وطرق جديدة للتنظيم، بحيث لم يقتصر العمل المجتمعي أو الصحي في حالة الجائحة على العمل المؤسسي، وتُشير هذه المبادرات التي انبثقت من داخل المجتمع، إلى القدرة على المساعدة المتبادلة واستنهاض الهمم. بالتفكير في كيفية تشكيل الرعاية لحس الانتماء والمواطنة

في سياق الإقصاء المنهجي، تتحدى هذه الممارسات غير الرسمية المفاهيم الإنسانيّة والليبراليّة للرعاية في فلسطين،[82] وعلى وجه الخصوص تلك التي تصوّر الفلسطينيين على أنهم يكتفون بتلقي الرعاية فحسب، وبالتالي تجاهل قدرتهم على اتخاذ القرارات الفعالة ذات الصلة. إن الرعاية، باعتبارها شكلاً من أشكال التضامن، خلافاً لاعتبارها عملاً خيرياً،[83] تتجلى في كونها عملاً تآزرياً ومسؤوليّة جماعيّة تُنتج بُنى تحتيّة ديناميكيّة ومتمايزة للرعاية داخل المجتمع. وعلاوة على ذلك، فإن هذا النهج يُعطي للرعاية معنى سياسيّاً، وهو في صميم المُجتمع والمواطنة الفلسطينيّة. وخير مثال على ذلك عمل اللجان الشعبيّة في مخيمات اللاجئين أثناء الجائحة؛ ففي ظل غياب المؤسسات الفلسطينية الرسمية، لم تصبح اللجان الشعبية داخل مخيمات اللاجئين جهة رئيسية لتوفير الرعاية خلال جائحة كوفيد-19 وعلى مر السنين فحسب، بل تولت أيضاً دور المؤسسة «الرسمية» بحكم الأمر الواقع داخل المخيمات.[84]

ينبغي هُنا الإشارة، في إطار مناقشة مُمارسات الرعاية، إلى أن المساعدة المُتبادلة تتحدى أنظمة الهيمنة التي تُعيد إنتاج الفوارق الاجتماعية-الاقتصادية. فحسبَ ما ذهب إليه دين سبيد، فإن مشاريع المُساعدة المُتبادلة تُعرّف بأنها «على النقيض من نماذج العمل الخيري.»[85] وباستخدام أمثلة من المُبادرات المحلية والتعاونيات والبدائل الأخرى لاستراتيجيات التحول والممارسات «على الأرض»، دعا آخرون أيضاً إلى استخدام مفهوم التضامن «انطلاقاً من القاعدة» في المجال الحضري.[86] ويظهر ذلك جليّاً في التوجه الجديد للشباب نحو التعاونيات الإنتاجيّة، التي تهدف إلى التغلب على أزمة البطالة الحاليّة في فلسطين، والناجمة عن سوء التخطيط الحكومي والسياسات الليبراليّة الجديدة.[87] ولقد اتسمت حركة العصيان المدني في مدينة بيت ساحور عام 1988 بطابع جماهيري يتجاوز الحسابات الحزبية، الأمر الذي سمح لها بأن تكون حالة صامدة من العصيان والمقاومة.[88] أما لو كانت جاءت الأوامر من «الأعلى،» فأسعد يؤكد أنها لم تكن حركة العصيان لتنجح. وهذا يكشف لنا كيف يمكن للاستنهاض الهمم والتنظيم «المنطلق من القاعدة» أن يُحدث تغييراً ملحوظاً من خلال تشجيع الناس على الانضمام للعمل ذي الصلة.

تحديد مواقع الرعاية في أحياء رام الله

لتوسيع فهمنا للرعاية في الحيّز ومن خلاله، قمنا بالتقصي في ثلاثة أحياء في رام الله حول كيفية عمل الرعاية في المناطق الحضرية، وعلى وجه التحديد، موقعها وترابطاتها ومدى تحقيق «القدرة على الرعاية» في ظل البُنى التحتية الحضرية القائمة والناشئة.[89]

تأثرت قدرة سكان المناطق الحضرية على الرعاية والتكيّف أثناء الجائحة بشكل كبير بالتحولات الهيكلية المستمرة، مما أدى إلى تغيير تجاربهم في الألفة والرفقة في أماكن النشاط اليومي. عقد سُكان المدينة الذين أُجريت معهم مُقابلات مُقارنة ما بين الحيّز الحضري والريفي والثقافة، وعبروا عن شعورهم بالغربة في المدن، على العكس من حياة القرية المبنية

[82] Ilana Feldman, *Life Lived in Relief: Humanitarian Predicaments and Palestinian Refugee Politics* (Berkley: University of California Press, 2018).

[83] Dean Spade, 'Solidarity Not charity: Mutual Aid for Mobilization and Survival', *Social Text* 38/1 (2020), p. 136.

[84] مجدي المالكي، مُقابلة شخصية، 19 سبتمبر/أيلول، 2022.

[85] Spade, *Mutual Aid*, p. 24.

[86] Athina Arampatzi, 'The Spatiality of Counter-Austerity Politics in Athens, Greece: Emergent 'Urban Solidarity spaces'", *Urban Studies* 54/9 (2017), pp. 2155–7.

[87] راسم خمايسي، «المدينة الفلسطينية بين الأسر والحصار والتنمية» في المالكي وتماري (تحرير)، المدينة الفلسطينية، 64-49.

[88] أحمد عز أسعد، «بلاد على أهبة الفجر،» 304-239.

[89] Emma R. Power and Miriam J. Williams, 'Cities of Care: A Platform for Urban Geographical Care Research', *Geography Compass* 14/1 (2020), pp. 3–5.

على العلاقات الشخصيّة والعائليّة المتينة والدائمة، ما يزيد من حجم ومدى تبادل الرعاية.[90]

أثّر المنظر المعماري لمدينة رام الله ما بعد أوسلو، نتيجة البناء الضخم للمباني السكنية، والمباني المكتبيّة، على حساب النسيج التاريخي للمنازل ذات الأسطح المكسوة بالقرميد،[91] على حس الناس المجتمعي وعلاقاتهم. ووفقاً للعديد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم، لم يقم الأشخاص الذين يعيشون في المباني السكنية والمباني متعددة الطوابق بإقامة علاقات مع الجيران قبل الجائحة أو أثناءها. وعلى الرغم من أن الرعاية كانت تُقدم من خلال اللجان الخدماتيّة، فقد وُصفت بأنها تفتقر إلى «الأُلفة» الشائعة عادةً في الأحياء التي تسكنها نفس العائلة، أو في مُخيمات اللاجئين المُجاورة للمدن أو الواقعة بداخلها،[92] أو في القُرى المُحيطة بالمدينة.[93]

ولكن هذه المعالم الجغرافية معقدة وديناميكيّة، حيث تشهد بعض المساحات الريفية أنماطاً من التحضر، بما في ذلك التغييرات في هندسة المنازل، والتي قد تؤدي إلى نفس الشعور بالغربة. يمكن لسكان المناطق الحضرية الذين هاجروا من المناطق الريفية، أن يستحضروا ممارسات الرعاية القروية داخل أحيائهم الحضرية، وقد قاموا بذلك بالفعل، كما أظهرت المقابلات التي أجريناها.

يتألف حي الطيرة، والذي يعتبره سُكان الأحياء الأخرى منطقة ثريّة ومعزولة، بشكل رئيسي من منازل فردية تم إنشاؤها في البداية كمشروع إسكان لجمعية موظفي جامعة بيرزيت؛ ومع ذلك، يُشير بعض من قابلناهم إلى أن الكثير من سُكان هذا الحي أتوا من القُرى أو مخيمات اللاجئين، ويعتبرون مُمارسات الرفقة ذات أهمية كبيرة. وبالتالي، يحاولون خلق ديناميكيات القرية في الحي، عبر نشاطات جمعية تعاونية موظفي جامعة بيرزيت الإسكانيّة التي تجمعهم لتناول الطعام، واللعب، والمُشاركة في تقديم التعازي، أو التهنئة في الأعياد والأعراس.

إن مفهوم تلقي الرعاية خارج الحيّز الحضري له دلالات تختلف عن تلك الموجودة في نطاقه الداخليّ. وفقاً لأحد الأشخاص الذين تمت مُقابلتهم، فتجاهل المؤسسات الرسميّة توفير الرعاية للمناطق الموجودة خارج الحيّز الحضري، مثل القُرى، لم يخلق شعوراً بالرعاية المُجتمعيّة بين أولئك الذين يعيشون في القُرى فحسب، بل قلل من شعور «الخجل» المُرتبط بتلقي الرعاية من الخارج.[94] أما الناشطين في المُبادرات المختلفة فأظهروا العلاقة ما بين تواجدهم كنشطاء في إطار المُبادرات، وبين طبيعة الخمول النسبي للمؤسسات الرسميّة، والتي شعرت بأنها مُهددة بوجود بعض المُبادرات، وحاولت الهيمنة على عملها بحسب أحد النشطاء.[95]

مع ذلك، شكك آخرون في أن هذه الرفقة كانت تشكل جزءاً لا يتجزأ من الطيرة أو مُتاحة فيه، وأوضحوا أن تصورات الرعاية والتواصل الاجتماعي بحسب الأصول الريفيّة أدت إلى تعقيد مفاهيم وأنماط الرفقة التي نشأت في الحي. وبالتالي، يُصبح المعنى الحقيقي للرعاية من خلال الرفقة وحسن الجوار أمراً متغيراً ومرناً، حتى داخل المنطقة الواحدة. لذلك، فإن الألفة الاجتماعيّة تراكميّة بطبعها وتعتمد على الوقت والمكان. أبرزت العزلة التي فُرضت أثناء الجائحة كيفية امتداد التاريخ المحلي للأحياء إلى ما هو أبعد من المساحات النائية. في البلدة القديمة لمدينة البيرة، وفي حي المصايف، أشار بعض الذين تمت مقابلتهم إلى أنهم تمكنوا من البقاء على التواصل حتى بعد انتقال بعضهم للعيش خارج الحي، مُشيرين إلى «رصيد» الرفقة الذي تراكم عبر السنين على الرغم من البعد المكاني، وتم إعادة تفعيل هذا الرصيد خلال الجائحة حيث كان الأشخاص يطمئنون على بعضهم باستخدام المُكالمات الهاتفيّة.

وقد تكوّنت أشكال أخرى من الرفقة خارج مساحات الرعاية اليوميّة في الحي، مثل المدارس وأماكن العمل، ولكنها امتدت

---

[90] مجدي المالكي، مُقابلة شخصية، 19 سبتمبر/أيلول 2022.

[91] المرجع نفسه.

[92] ليزا تراكي، مُقابلة شخصية، 29 أغسطس/آب 2022.

[93] أحمد عز أسعد، مُقابلة شخصية، 15 أغسطس/آب، 2022.

[94] مُقابلة من أحد المُستفيدين من الحملات، أغسطس/آب 2022.

[95] مُقابلة مع ناشط، يوليو/تموز، 2022.

كذلك إلى الحي. ففي حي الطيرة مثلاً، وهو حي جديد نسبياً إذا ما قورن بالبيرة، تعززت الرفقة بين الأفراد قبل الانتقال للعيش في الحي من خلال جمعية موظفي جامعة بيرزيت، حيث عمل الأهل معاً في الجامعة، ودرس أولادهم في ذات المدارس خارج الحي. أدت هذه الأحياز اليوميّة المتقاطعة إلى توليد شبكة من الرفقة أثرت على الحياة السكنيّة الجامعيّة. مع ذلك، كان الترابط بين الأقارب هو السمة الأكثر تميزاً للرعاية بين سُكان المناطق الحضرية أثناء الجائحة. يعتمد العديد من الفلسطينيين في جميع أنحاء فلسطين ومخيمات اللاجئين في الغالب على شبكاتهم العائليّة والمجتمعيّة.[96] لذلك، يُنظر للعائلة باعتبارها مُقدّم الرعاية الرئيسي، بغض النظر عن طبيعتها، سواء كانت ماليّة، أو عاطفيّة، أو غير ذلك، حيث تُمكّن هيكلية الأسرة النواتية والممتدة من أداء وظائف الرعاية في المجتمع الفلسطيني.[97] تمتد علاقة الرعاية بين أفراد الأسرة، حتى عندما يكفون عن العيش في نفس المكان، بما في ذلك عندما يعيش بعض أفراد الأسرة في القرية والبعض الآخر في المدينة. وسلطت الجائحة الضوء على أشكال الرعاية الأسرية، مثل الاطمئنان اليومي على الأسرة، أو المساعدة في دفع الإيجارات بسبب البطالة المتزايدة.[98]

نقل المركز إلى الهامش: إعادة تنظيم الحيز الحضري أثناء الجائحة

أثّرت الإغلاقات والعزل المفروض أثناء الجائحة على العلاقات الاجتماعيّة والأحياز التي تُمارس فيها. وتمثلت إحدى أبرز خصائص الحياة الحضريّة خلال الجائحة في إعادة استخدام المساحات الاجتماعيّة والخاصة. في رام الله، على سبيل المثال، باتت الشوارع أقل ازدحاماً بالسيارات، وتم تحويلها إلى مساحات عامة تضم ملاعب ومسارات للمشي.[99]

عقب إغلاق مراكز المدن، تعذر على سكان المدينة الوصول إلى المناطق الاقتصادية و الاجتماعية. وقد أدى هذا إلى تحوّل تدريجي للمراكز وأنشطتها إلى هامش المدينة، أي الأحياء السكنية. وداخل هذه الأحياء، تم تشكيل بدائل اجتماعية واقتصادية غير رسمية، وكانت بعض الاقتصادات الرسمية تعمل بغض النظر عن الإغلاق، ورغماً عنه. كما أضحت مساحات للرعاية تشكلت وفقاً للاحتياجات والأولويّات الجماعيّة، عبر تحديد السكان لما «يتطلبه الصالح العام في فترة زمانيّة ومكانيّة معينة، وبالتالي بادروا لإصلاحات ضروريّة،»[100] مدفوعة بعدم فعالية المؤسسات الرسميّة.[101] لقد حرمت الجائحة، باعتبارها تجربة بالغة الاضطراب، سُكان المدن من الوصول إلى العديد من المرافق الحضريّة، في حين سمح لهم باستعادة المساحات الحضرية البديلة، ووضع تصور جديد لتفاعلهم الخاص في المدينة. ومن خلال هذه الممارسات اليومية، يعيد سكان المدن إنتاج مدنهم وإعادة تشكيلها.[102] إن بُنى التدخل التحتيّة هذه تُمكن من إعادة تشكيل المدينة عبر «التعاون الاقتصادي بين السكان المُهمشين من الحياة الحضرية والفقراء فيها.»[103]

وعندما أُغلقت الأنشطة والأماكن الرئيسيّة الواقعة في الأحياء السكنيّة خلال فترات الحظر، أدى ذلك إلى إخلاء مساحة أكبر في الشارع. على سبيل المثال، أدى الإغلاق المؤقت لوزارة المالية في حي المصايف، إلى تحول الشارع الذي توجد فيه والذي كان عادةً مكتظاً بسيارات موظفي الوزارة وزوارها، إلى ساحة عامة لتجميع البضائع وبيعها. ازدادت الأنشطة الاجتماعيّة والاقتصاديّة بشكل ملحوظ في هذا الحي، حيث بقي أحد المراكز التجاريّة مفتوحاً رغماً عن الإغلاقات المفروضة. تحقق هذا الى حد ما نظراً لامكانية الوصول إلى الباب الخلفي للمركز التجاري عبر منزل أصحاب المحل. يُشير

[96] Elena Fiddian-Qasmiyeh, 'Responding to Precarity: Beddawi Camp in the Era of Covid-19,' *Journal of Palestine Studies* 49/4 (2020), p. 32.

[97] حسن لدادوة، سوسيولوجيا القطاع الاقتصادي غير المنتظم خلال انتفاضة الأقصى، وسيلة للتكيّف (رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، 2003) (غير منشورة).

[98] أحمد عز أسعد، مُقابلة شخصية، 15 آب 2022؛ مُقابلة مع أحد ساكني مدينة رام الله، 4 أغسطس/آب 2022.

[99] El Sakka, 'Between the Palestinian Authority's Social Policies and Israel's Occupation Policies,' p. 107.

[100] Alam and Houstion, 'Rethinking Care', p. 8.

[101] مُقابلة مع أحد الناشطين، يوليو/تموز 2022.

[102] Asef Bayat, *Life as Politics: How Ordinary People Change the Middle East* (California: Stanford University Press: 2013), pp. 43–65.

[103] Simone, 'People as Infrastructure,' p. 407.

هذا إلى شكل مختلف من إعادة استخدام الحيّز أثناء الجائحة، حيث أصبحت بعض المساحات الخاصة امتداداً أو بديلاً للمساحات العامة، ما خلق تداخلاً بين العام والخاص. أصبح هذا المركز التجاري معلماً من معالم حي المصايف يجذب الزبائن، ويجعل الشارع مكاناً عاماً واجتماعيّاً، وظهرت أنشطة تجاريّة غير رسميّة مختلفة استجابة للتفاعل الاجتماعي المتزايد، بما في ذلك الأكشاك لبيع الحلويات، واللحوم المشويّة، والفلافل، وما إلى ذلك. تحول الحي عبر ذلك إلى مساحة للتجمع، بدأ عبرها الشباب في دعوة أصدقائهم من الأحياء الأخرى لقضاء الوقت، وتناول الوجبات الخفيفة، ما جعل هذه المساحة بديلاً لمركز المدينة الذي بات يصعب الوصول إليه.

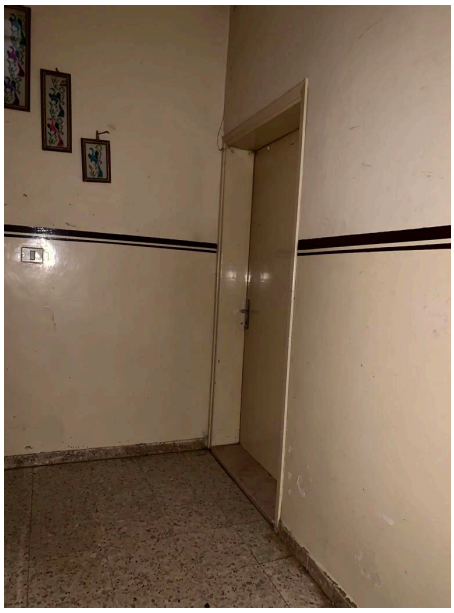

الصور 4 و5: الباب الخلفي للمركز التجاري من البناية السكنية (البحث الميداني للطُلاب، 2022)

مواقع الأنشطة الاقتصاديّة في حي المصايف أثناء كوفيد-19 (رام الله، نُظم المعلومات الجغرافيّة، 2022)

مواقع الأنشطة الاجتماعيّة-الاقتصاديّة في حي المصايف أثناء الجائحة (رام الله، نُظم المعلومات الجغرافيّة، 2022)

سُمح ببقاء الأكشاك مفتوحة بما أن الأنشطة الاقتصاديّة بحد ذاتها لم تكن ممنوعة. لذا، اتخذ أصحاب الأكشاك مهمة الإدارة غير الرسميّة للحيّز عبر منع التجمعات بجوار أكشاكهم، حتى يتمكنوا من الاستمرار في العمل. كان القرار بشأن ما يجب بيعه يستند إلى احتياجات الحي، كما كان أولئك الذين أقاموا الأكشاك يلبون احتياجاتهم من حيث التوظيف والدخل، بعد أن فقدوا وظائفهم أثناء الجائحة، كما في حالة مصفف الشعر الذي افتتح كشكاً، ومالك كشك الشواء الذي كان عامل بناء في السابق.

بالنسبة لهؤلاء الباعة، سواء أصحاب الأكشاك أو أصحاب المتاجر الكبرى، كانت ممارسة الأنشطة التجاريّة في أحيائهم السكنية وسيلة للاستفادة من هذه المساحة المشتركة والمساهمة فيها، وتلبية الاحتياجات المختلفة والحفاظ على الدخل المالي «داخل» الحي. علاوة على ذلك، أشاروا إلى أن ذلك خلق حالة من «الحس المجتمعي » مرة أخرى، مُشيرين إلى هذه التفاعلات التي تزايدت. بيد أن أشكال الرعاية التفاعلية في الحيّز ليست جديدة على هذا الحي، بل سلّط أحد السكان الذين أجرينا معهم المقابلات الضوء على دور مسجد الحي في تشجيع التعاون بين أفراد المجتمع، وتوفير الرعاية لهم. ومع ذلك، فإن ما يستحق الذكر هنا هو الاستخدام التكيّفي للمساحة لغاياتٍ اجتماعيّة واقتصادية يوميّة، والتي استوعبت بعد ذلك أشكالاً إضافية من التفاعل الاجتماعي.

الخاتمة: هل تستمر الرعاية بعد الجائحة؟

هل من المُمكن استدامة هذه البُنى التحتيّة ومُمارسات الرعاية وبالتالي تحقيق ما يُمكن الإشارة إليه، ربما بحذر، بعالم «ما بعد الجائحة؟» كما هو الحال في أي أزمة، فإن قدرات الرعاية المكثفة وفتراتها تتأثر بالاحتياجات التي تُفرزها الأزمة، وتختلف تبعاً لبُنى الاختلاف والتمايز الاجتماعي، علاوةً على شبكات رأس المال الاجتماعي، والمؤسسات، والتشكيلات المكانيّة. ومن الواضح أيضاً، أن الرعاية تعدّ مُمارسة اجتماعيّة تتطور باستمرار، فهي تنشأ عبر السجلات التاريخية والسياسية لمكان ما، في حين تتخذ اتجاهات جديدة بحسب السياق المُباشر. خلال فترة كوفيد19- الصعبة في فلسطين، تأقلمت بعض مُمارسات الرعاية مع المساحات اليوميّة في الأحياز الحضريّة، وغيّرتها أيضاً. ورغماً عن استمرار بعض هذه المُبادرات في أعقاب كوفيد-19، يبقى السؤال الرئيسي قائماً حول ما إذا كان من المُمكن استدامة قُدرة الرعاية والثقافة في فلسطين بعد هذه المُبادرات المُتنوعة، وعلى وجه الخصوص في سياق استمراريّة بُنى الهيمنة والمُمارسات الاستعماريّة العنيفة، كما اتضح من خلال مُقابلاتنا وتحليلنا للبيانات الثانوية.

سلطت مُقابلاتنا الضوء كذلك على العناصر المُختلفة التي تؤثر في استمراريّة الرعاية في فلسطين، بينما يُركز البحث على أشكال الرعاية اليوميّة؛ وبالتالي، لا يُمكن فهم حيويّة هذه المُمارسات وطول أمدها بمعزل عن الدائرة الأوسع من التمويل، والدعم، والحوكمة، حيث ترتبط الرعاية اليوميّة في نهاية المطاف بأبعاد مؤسّساتيّة للرعاية، والبُنى الداعمة مُتعددة الأبعاد والمستويات. إن إرث الهيمنة والاستعمار الذي يُهدد بشدة النظام السياسي الفلسطيني الرسمي، لا يزال يُعيق، وبشدة، القُدرة على التعبئة وترسيخ البنُى المؤسساتيّة والحكوميّة اليوميّة للرعاية. يؤثر السياق السياسي الفلسطيني في استمراريّة القدرة على تقديم الرعاية؛ فدون رؤية سياسيّة واضحة، أو أحزاب قويّة، تضعف الثقافات الضرورية للرعاية التي يُمكنها توفير الظروف لاستمراريّة الرعاية.[104] إن القدرات الاستراتيجية والضروريّة للحياة للتداخل ما بين الممارسات اليومية والمؤسساتيّة تمعن في إضعافها السياساتُ الليبراليّة الجديدة التي يتم فيها تسويق الرعاية وتجزئتها، إلى جانب انتشار المنظمات غير الحكومية، وأُطر الرعاية المعنية التي نادراً ما تعطي الأولوية لقدرات وممارسات الرعاية الراسخة والجماعيّة. ونرى أن الإرث الثقافي للرعاية المجتمعيّة اليوميّة غير كافٍ لازدهار المُبادرات ونموها، وذلك لأن بُنى رأس المال الاجتماعي والسياسي والمالي تلعب جميعها دوراً في تشكيل الرعاية واستدامتها.

مع ذلك، فإن كون العديد من المُمارسات والمُبادرات الفردية والجماعيّة التي حلّلناها تطورت بشكل طبيعي في المجتمعات، وفي مساحات مُمارسة الحياة اليوميّة، يُعتبر أمراً جديراً بالاعتبار، وهو ما ذهب إليه الباحثون في الدراسات الحضريّة الذين يبحثون في قضايا الواقع المُعاش للمبادرة والإصلاح ذات الصلة.[105] عبر أقسام هذا البحث، سلّط العديد من الذي تمت مُقابلتهم الضوء على أهمية التعبئة الشعبية إنطلاقاً من القاعدة. وبالعودة إلى الأمثلة والمبادئ الناجحة للجان الشعبية، فإن الاعتبارات المستقبليّة لرعاية المجتمع والتعبئة من أجل التغيير ترتبط بميّزات وموارد الممارسة الثقافية المشتركة، والأماكن العامة المشتركة، والتنظيم الجماعي، وتلبية الاحتياجات الأساسية والناشئة.[106]

---

[104] حنبلي، «إعادة تصور التحرر».

[105] Abdou Maliq Simone, *Improvised Lives: Rhythms of Endurance in an Urban South* (London: John Wiley & Sons, 2018).

[106] حنبلي، «كيف يُرمم الدمار».

The views and opinions expressed in this publication are those of the author(s) and do not necessarily represent those of the London School of Economics and Political Science (LSE) or the Middle East Centre. This document is issued on the understanding that if any extract is used, the author(s) and the LSE Middle East Centre should be credited, with the date of the publication. While every effort has been made to ensure the accuracy of the material in this paper, the author(s) and/or the LSE Middle East Centre will not be liable for any loss or damages incurred through the use of this paper.

The London School of Economics and Political Science holds the dual status of an exempt charity under Section 2 of the Charities Act 1993 (as a constituent part of the University of London), and a company limited by guarantee under the Companies Act 1985 (Registration no. 70527).

Middle East Centre
London School of Economics
Houghton Street
London, WC2A 2AE

LSEMiddleEast
lsemiddleeastcentre
lse.middleeast
lse.ac.uk/mec